The Intrinsic Description of Human Nature in the Holy Quran and the Impact of Faith on It

Prof. Zakaryia A. M. Al-khader(1) **Dr. Raed S. Bani Abdul Rahman**(2)*

Received: 8/9/2025 Accepted: 5/11/2025 published: 1/9/2026

Abstract

Objective: This study aims to examine the innate characteristics of human beings, the instincts upon which they are naturally created, and the psychological weaknesses associated with these characteristics. It explores how human behavior is shaped by such natural dispositions, how the Qur'an portrays these deeply rooted traits within human nature, and the methods employed by the Qur'an to highlight and emphasize them in the human psyche.

Method: The researchers adopted inductive and analytical approaches to derive the findings and research insights presented in this study.

Results: The study found that these natural human characteristics are addressed through the influence of faith and divine guidance. It demonstrates how individuals are guided to direct their innate dispositions, psychological drives, and moral foundations in accordance with divine objectives in order to overcome negative tendencies rooted in their nature. The findings further indicate that natural predispositions do not constitute a justification for human conduct or behavior. The study also presents a conceptual framework illustrating the role of faith and divine guidance in shaping a believing personality capable of regulating its innate inclinations and directing them toward virtuous ends, thereby correcting and improving its course of action.

Conclusion: The study reveals that the relationship between divine creation (the creational order) and divine legislation (the religious order) is not one of contradiction. Rather, it is based on providing insight into the human condition with the aim of developing individuals intellectually and spiritually according to the most sound and balanced path.

Keywords: Innate Characteristics, Human Nature, Faith, Guidance.

(1) Prof., Department of Fundamentals of Religion, Yarmouk University, Irbid, Jordan.
(2) Associate Professor, Department of Fundamentals of Religion, Yarmouk University, Irbid, Jordan.
* ***Corresponding Author:*** raed.said@yu.edu.jo
DOI: https://doi.org/10.59759/jjis.v22i3.811

الوصف الفطري للإنسان في القرآن الكريم وأثر الإيمان فيه

أ.د. زكريا علي محمود الخضر د. رائد سعيد بني عبد الرحمن

ملخص

الهدف: يهدف هذا البحث إلى تناول الأوصاف الفطرية للإنسان والغرائز التي جبل عليها، وحالات الضعف النفسي في تلك الأوصاف، وابتناء تصرفاته من تلك الأحوال الطبعية، وبيان القرآن لهذه الخصال المستحكمة في تكوينه وتركيبه، وطرائق القرآن في إبرازها، والتركيز عليها في نفس الإنسان.

المنهج: اعتمد الباحثان المنهج الاستقرائي والتحليلي في استخلاص النتائج والأفكار البحثية في هذه الدراسة.

النتائج: وقف الباحثان على معالجة تلك الخواص الطبعية لدى الإنسان بمؤثر الإيمان والتوجيه الإلهي، وإرشاد الإنسان إلى توجيه المركوزات الفطرية في أصل خلقته، وتدافع القوى النفسانية والأصول الأخلاقية وفق المرادات الشرعية للتغلب على ما استحكم في طبعه، وبيان أن السجية المفطور عليها ليست رافعة للعذر في سلوكه في حياته. وقدم البحث تصورا فكريا حول أثر الإيمان والهدي الرباني في بناء الشخصية الإيمانية العاملة على ضبط الجوانب الجبلية في ذاتها، والنهوض بها إلى موارد الخير تصحيحا لمسارها.

الخلاصة: أظهر البحث أن العلاقة بين الجعل التكويني والجعل الشرعي ليست علاقة تعاند، بل تقوم على التبصرة لأحوال الإنسان سعيا لبنائه شرعا وفكرا على المنهج الأرشد والأمثل.

الكلمات المفتاحية: الوصف الفطري، الجِبِلة، الإيمان، التوجيه.

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وأودع فيه من القُوى والطبائع المتنوّعة ما جعله آية في الخلق، ودلالة على صنعته ووجوده وقدرته، وقدَّر لهدا الإنسان من السجايا الملازمة لذاته ما يُعدُّ جزءًا من تركيبه وبنيته، وبين أن هذه اللوازم الذاتية مستحكمة في نفسه على وجهٍ بالغ، وأن هذه المركوزات الفطرية يمكن توجيهها وإدارتها وفق الإرادات الشرعيّة، وتدافع القوى النفسانية التي وهبها الله إياها؛ ذلك أن الأصل الجبِلِّي للخلق المتعلق بهذا الإنسان لا يعني أنه رافعٌ للعُذرِ فيما يُبديه عند تصرفاته في الأمور والأحوال، ولا يُحكم على الإنسان بإزائه، بل يترتب الحكم مدحًا أو ذمًا، مثوبةً أو عقوبة على طريقة توجيهه وتصريفه وفق مرادات الشارع الحكيم، بما يتلاءم مع الهدي الرباني الذي ينشد الإصلاح النفسي والمجتمعي.

وأخبر الله تعالى في تنزيله المحكم عمّا جُبل عليه الإنسان فِطرة، وما كان عليه هذا الإنسان في خُلُقه الأوّل في مواضع عدّة، وأشار إلى ذالك في تصرفاته وطرائقه في التعامل على المستوى الذاتي والمستوى الاجتماعي، ونبّه إلى أثر الإيمان والهدي الإلهي في ضبط هذه الجوانب الجبلّيّة، والنهوض بالإنسان لإيصاله إلى موارد الخير، وتصحيح

مساره في الحياة طبقًا للمنهج الأرشد والطريق الأمثل؛ ذلك أن العلاقة بين الجعل الشرعي والجعل التكويني علاقة قائمة على التوجيه والإرشاد وتوضيح المسار، وليست علاقة تعاند أو تناكد؛ لأن الجانب الجبِلِّي قابل للتأثر والتغيّر والتوجيه، من هنا كانت المهمة الإيمانية منيرة للإنسان، ليستبصر سبيل الرشد فيتخذه سبيلا.

وقد جاء هذا البحث الموسوم بـ "الوصف الفطري للإنسان في القرآن الكريم وأثر الإيمان فيه" ليسلط الضوء على الأصل الجبلي للإنسان، الذي بصره القرآن به، وجعله يعرف نفسه، ويدرك من خلال ذلك مواقع الزلل ومظنة الخطأ، فيحذر من غوائلها، ويرينا مواقع العُذر التي يُعذر بها الإنسان، ولأجلها كان التخفيف في الأحكام والتحمل والمرادات الشرعية، ومدى تأثره بهذه الطبيعة المودعة فيه، وأثر الهدي القرآني في معالجتها وتصويب خطئها، وصولا إلى الإنسان المنشود شرعا.

مشكلة البحث:

تبدو مشكلة هذه الدراسة من خلال سؤالها الرئيس: ما الوصف الفطري للإنسان في القرآن الكريم وما أثر الإيمان فيه؟ وينشَعِب عنه جملة من الأسئلة اللازمة له:

١- ما الوصف الفطري للإنسان المتصل بالضعف النفسي؟
٢- ما الوصف الفطري للإنسان المتصل بالجانب الانفعالي؟
٣- ما الوصف الفطري للإنسان فيما يتعلق بالجانب العقلي؟
٤- ما أثر الإيمان في الوصف الفطري المتصل بالجانب النفسي والانفعالي والعقلي؟

أهداف الدراسة:

تهدف هذه الدراسة إلى تحقيق جملة من الأهداف، منها:

١- بيان الوصف الفطري للإنسان في الجانب النفسي.
٢- إيضاح الوصف الفطري للإنسان المتصل بالضعف الانفعالي.
٣- إظهار الوصف الفطري للإنسان المتصل بالجانب العقلي.
٤- إبراز أثر الإيمان في الوصف الفطري للإنسان في الجانب النفسي والانفعالي والعقلي.

الدراسات السابقة:

وقف الباحثان على دراسة لها صلة بموضوع البحث، بعنوان الصفات الفطرية في الإنسان من خلال قصة آدم في القرآن الكريم للدكتورة فلوة بنت ناصر الراشد، وهي دراسة من منشورات مجلة الحكمة – السعودية عام ٢٠٠٣ م، وهذه الدراسة اقتصرت على الصفات الفطرية التي وردت في سورة آدم، وجاءت دراستنا أعم وأكثر شمولية بتناولها للصفات الفطرية في القرآن الكريم، وأثر الإيمان في تهذيب الجانب الجِبِلي المتعلق بالأوصاف اللازمة للإنسان.

منهج الدراسة:

اعتمد الباحثان المنهج الاستقرائي والتحليلي في الدراسة، والتوصل إلى النتائج ومسائل البحث.

وقد اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مبحثين وأربعة مطالب، على النحو التالي:

المبحث الأول: الوصف الفطري للإنسان المتصل بالضعف النفسي والجانب الانفعالي وأثر الإيمان فيه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ضعف الإنسان النفسي وأثر الإيمان فيه.

المطلب الثاني: ضعف الإنسان فيما يتصل بالجانب الانفعالي، وأثر الإيمان فيه.

المبحث الثاني: الوصف الفطري للإنسان فيما يتعلق بالجانب العقلي، وأثر الإيمان فيه، وفيه مطلبان:

المطلب الأول: ضعف الإنسان من حيث جهله وظلمه لنفسه، وأثر الإيمان فيه.

المطلب الثاني: ضعف الإنسان من حيث جدله وخصومته، وأثر الإيمان فيه.

الخاتمة، وفيها أبرز نتائج البحث والتوصيات.

نسأل الله تعالى أن يصيبنا التوفيق فيما قدمنا، وأن يرزق عملنا هذا قبولا من لدنه، إنه ولي التوفيق، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

المبحث الأول:

الوصف الفطري للإنسان المتصل بالضعف النفسي والجانب الانفعالي وأثر الإيمان فيه.

المطلب الأول: ضعف الإنسان النفسي وأثر الإيمان فيه.

إن ضعف الإنسان طبيعةً وبناءً أمر مستشر فيه، ووصف لازم بالذات ولازم بعوارضه، فتكوينه الخَلقي يشعر بهذا، ولذا نجد في قوله تعالى: ﴿**اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً**﴾[٥٤: الروم]. دلالة على هذه الحالة الملتصقة به في أغلب أحواله، لبيان شدة احتياجه إلى خالقه، وضرورة اعتلاقه بأسباب القوة من لدنه سبحانه. وقد لخصت آية النساء حالة الضعف المطلقة لدى الإنسان تركيبا وذاتا، وطبعا وصفة في قوله تعالى: ﴿**يُرِيدُ اللّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا**﴾[٢٨: النساء].

يذكر الله تعالى هذا الوصف للإنسان، لبيان لطفه بهذا الكائن بالغ الضعف، وقد جاء في مورد تخفيف الأحكام تعليلا للتخفيف، ومراعاة لحالته في التحمل والإطاقة، فالله هو الذي خلق له هذه البنية، وأوجد له هذه الطبيعة وهو يعلم من خلق. وقد توجه المفسرون في بيان هذه الآية التي تبين هذه الخصلة المميزة للنوع الإنساني إلى حملها على محامل عدة، فمنهم من اتجه إلى تخصيص معناها في حيز خاص، فرد المعنى إلى ضعف خاص في شؤون النساء، نقل هذا القول أبو السعود في تفسيره(١). ومنهم من توسع قليلا، فجعل ذلك مرادا مع عموم الطاعات، قال الزمخشري: "لا يصبر عن الشهوات وعلى مشاق الطاعات"(٢). ونصر هذا القول البيضاوي، وجعل ذلك علة لتخفيف الأحكام حيث قال:

"فلذلك شرع الله لكم الشرعة الحنيفية السمحة السهلة، ورخص لكم في المضايق كإحلال نكاح الأمة"(٣).

ودار كلام أبي السعود تقديرًا لما ذهب إليه الزمخشري والبيضاوي مفسرًا جانبًا نفسيًا لحالة الضعف الإنساني، إذ رأى ضعف الإنسان في عجزه عن مخالفة هواه، وأنه غير قادر على مقابلة دواعيه وقواه حيث لا يصبر عن اتباع الشهوات ولا يستخدم قواه في مشاق الطاعات(٤).

وحمله الألوسي على ضعف البنية والأساس(٥).

وذهب ابن جزي إلى عموم المعنى في الضعف دون تفصيل لموارد العموم، يقول: (قيل معناه: لا يصبر على النساء، وذلك مقتضى سياق الكلام، واللفظ أعم من ذلك)(٦).

وحمل ابن كثير المعنى على العموم حيث قال: (فناسبه التخفيف لضعفه في نفسه وضعف عزمه وهمته)(٧). وإلى هذا مال ابن عطية إذ رأى أن الآية تخرج مخرج التفضل، لأنها تتناول كل ما خفف الله تعالى عن عباده وجعله يسراً، ويقع الإخبار عن ضعف الإنسان عاماً، حسبما هو في نفسه ضعيف يستميله هواه في الأغلب(٨).

وإذا نظرنا إلى هذه الأقوال جميعًا، فإنا نراها يفضي بعضها إلى بعض، إلا أن نطاق الآية أوسع معنى وأبعد مرمى مما لَفتوا إليه، وقد جعل ابن عاشور المعنى متسعًا لما ذهب إليه المفسرون؛ إذ المعنى باتساعه أنسب لبيان التعليل في التخفيف على الإنسان بما يبرز ميزة الدين الحنيف، يقول ابن عاشور: "﴿وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾[٢٨: النساء] تذييل وتوجيه للتخفيف، وإظهار لمزية هذا الدين، وأنه أليق الأديان بالناس في كل زمان ومكان، ولذلك فما مضى من الأديان كان مراعى فيه حال دون حال، ومن هذا المعنى قوله تعالى: ﴿الآنَ خَفَّفَ اللّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [٦٦: الأنفال]، وقد فسَّر بعضهم الضعف هنا بأنه الضعف من جهة النساء، قال طاووس: ليس يكون الإنسان في شيء أضعف منه في أمر النساء، وليس مراده حصر معنى الآية فيه، ولكنه مما روعي في الآية لا محالة؛ لأن من الأحكام المتقدمة ما هو ترخيص في النكاح "(٩).

وفيما يبدو لنا، فإن هذه الآية كالأساس لمعاني أُخر ذكرت في وصف الإنسان في خُلقه وجبِلّته التي جُبل عليها، فحين يوصف الإنسان بكونه ظلومًا جهولًا، فإن ذلك مردّه إلى ضعفه الجبلّي، وحين يوصف بأنه قتور وبأنه ظلوم كفّار، وبأنه كائن عجول، وبأن نفسه أمارة بالسوء، وبأنه لحب الخير لشديد، وما إلى ذلك من الأوصاف اللصيقة بطبيعته، فذلك حالات من أحوال ضعف نفسه وضعف عزمه وضعف همّته، ومن هنا فإن بيان الحال على وجه العموم أولى بالاعتبار، يدخل في ذلك ضعف البنية والخِلقة، ومدخل ذلك أن تحمّله للمشاق له طاقة تتناسب مع ضعفه في التحمل والبنية، ولهذا جاءت العبادات والتكاليف في المقدور مراعاة لبنيته، وهذا المعنى يدخل دخولًا أوليًا، ويدخل في ذلك الضعف النفسي والأوصاف والعوارض الذاتية التي يُبنى الحُكم على الإنسان بإزائها دفعًا أو موافقةً، وهذا يتناسب مع جميع الأوصاف التي وُصف بها الإنسان في القرآن الكريم من حيث الجبلّية والتكوين النفسي.

وقد بدت حالات الضعف النفسي لدى الإنسان كما أفصح عن ذلك القرآن الكريم في جانب الإرادة النفسية وموقفه من النعمة والأثرة، في مواضع عدة من الكتاب العزيز، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾

[٦- ٧: العلق]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾[٦- ٨: العاديات]، وقوله تعالى: ﴿وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾[١٠٠: الإسراء].

وقد أخبر القرآن الكريم عن أساس ذلك عند الإنسان؛ فبيّن أن هذا من جهة ضعف العزم لديه، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا﴾[١١٥: طه].

والعزم هنا من جهة الإرادة والتصميم والثبوت على أمرٍ وحال، لطلاقة اللفظة التي جاءت في سياق النفي مُنكرةً موحيّة بالعموم، وإن كانت في سياقها مقتضية معنىً أوّليًّا، غير أن ذلك لا يدافع شمول المعنى باتساع مداره، الذي يُشعر بحالة الإنسان الممتزجة بتكوينه الفطري وأصالة ذلك فيه، ليغدو الأثر الإيماني الموجه لهذه الخصيصة الإنسانية على المستوى الذي يحتويها ويكتنفها في عمومها، لا على المعنى الجزئي المحدّد النطاق.

وإذا كان المقصود ابتداءً بهذه الآية آدم عليه السلام، فإن ما كان من مقصود الآية ينسحب على ذريته؛ لأن ذلك بحكم ما جُبل عليه الخلق الإنساني من لدن آدم عليه السلام، وهذا شأن متأصّل في الإنسانية، قال البيضاوي: (للدلالة على أن أساس بني آدم على العصيان وعرقهم راسخ في النسيان، (ولم نجد له عزمًا) تصميم رأي وثباتًا على الأمر؛ إذ لو كان ذا عزيمة وتصلّب لم يزله الشيطان ولم يستطع تغريره)[١٠].

ومعنى العزم (والعزم: نية محققة على عمل أو قول دون تردد)[١١]. وهو أيضا توطين النفس على الفعل والمعنى: لم يحفظ ما أمر به[١٢].

وتظهر هذه الآية أن التقلب في الرأي والتحوّل من موقف لآخر من سجيّة الإنسان وطبعه، إلا أن هذا التحوّل وذلك التبدّل لا يكون محمودًا إذا كان في غير مواضعه؛ إذ المقصود هنا الإخبار عن عدم الثبات على ما فيه مخالفة الهوى، وهذا مرده إلى الضعف الإنساني في تكوينه الجبلّي، وذلك متصل بالإرادة النفسية.

وفي بيان أثر الإيمان في توجيه ضعف الإنسان النفسي، فقد وجّه القرآن إلى معالجة هذه الخصيصة الإنسانية في أصل طبع الإنسان بالثبوت على مخالفة الهوى للنفس، والتبصر بعواقب التحوّل عن المبدأ والوصية الإلهية أمرًا أو نهيًا، والاستقامة على مرادات الشارع الحكيم، ورغب بها وأثاب عليها، وامتدح منتهجيها، ومن ذلك ما جاء في قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾[١١٢: هود]، وفي قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾[٣٠: فصلت].

ووجه القرآن إلى العزم المحمود، من نحو: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[١٥٩: آل عمران] والعزم المحمود في الدين (العزم على ما فيه تزكية النفس وصلاح الأمة، وقوامه الصبر على المكروه، وباعث التقوى وقوته شدة المراقبة؛ بأن لا يتهاون المؤمن عن محاسبة نفسه)[١٣].

المطلب الثاني: ضعف الإنسان الانفعالي وأثر الإيمان فيه.

وصف الله تعالى الطبيعة الإنسانية بأنها تتأثر بالمؤثرات المادية التي تشكل عنصرًا من عناصر حيويتها، وأنها تبدي حرصًا على التشبّث بما تراه سبيلًا لبقائها، وأن حب الأثرة لديها لكثرة تخوّفها مما عساه يزيل تلك الأثرة أو

ينقصها، يجعلها تتعلق بالسبب المادي تعلقًا لا يكاد ينفك عنها أو يتحول، وإن كبرى هذه الأسباب المادية النعمة والمال، وقد ورد في التنزيل الحكيم أوصاف الإنسان الجبلّية، حيال التأثر بالنعماء والأموال بشتى صنوفها، وقد لخّصت الآية القرآنية ما فطرت الجبلّية عليه سجيّة الإنسان إزاء ذلك كله، قال الله تعالى: **﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاء وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾**[١٤: آل عمران]. قال محمد رشيد رضا: "بين جميع أصول اللذات التي يتمتع بها الناس بحسب غرائزهم تمهيداً لتعظيم شأن ما بعدها من أمر الآخرة، وليس المراد ذمها والتنفير عنها، وإنما المراد التحذير من أن تُجعل هي غاية الحياة"[١٤].

إلا أن نَهَم الإنسان بفطرته وتعلّقه بالنعمة جاء بأوصاف متعددة، كانت جميعها بصيغة المبالغة التي تدل على كثرة اعتلاق هذه الخصيصة بتكوينه الجبلِّي، وكثرة ما يتردد في نفسه من التفكير فيها، وكثرة ما تدفعه للتصرّف على وفقها في مواقف شتّى في الحياة إزاء نفسه وإزاء مجتمعه، ومن تلك الأوصاف ما جاء في قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾**[٦- ٨: العاديات]، وقوله ﷻ: **﴿وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾** [١٠٠: الإسراء]، وقوله: **﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنسَانَ لَيَطْغَى * أَن رَّآهُ اسْتَغْنَى﴾**[٦- ٧: العلق]، وقوله تعالى: **﴿لَا يَسْأَمُ الْإِنسَانُ مِن دُعَاء الْخَيْرِ﴾**[٤٩: فصلت].

وقد أظهرت الآيات الكريمة الجانب الانفعالي للإنسان حيال النعمة وجودًا وعدمًا، إنعامًا وحرمانًا، على المستوى الذاتي وعلى المستوى الاجتماعي، فهو فرح بنعمته وبما يساق إليه من فضل، وبما يفضي إلى صيرورته في دعةٍ، وفخور على غيره مغتر بها، مما يدفعه إلى الطغيان ونسيان النعمة والمُنعِم، متكثر للمزيد، متجزّع حال النقص والحرمان، وهذا يرجع في أصل خلقته إلا أنه مجبول على النسيان والضعف، الذي أشارت إليه الآية الأساس في هذا كله (وكان الإنسان ضعيفًا).

وفي هذا النطاق من البحث سنتناول جانبي الانفعال الفطري لدى الإنسان حيال الأثرة والمحببات إلى نفسه، على المستوى الذاتي الفردي المختص بخاصته هو، والمستوى المتعدي إلى غيره في صعيده الاجتماعي.

فعلى المستوى الذاتي الفردي المختص بخاصة الإنسان نجد وصفه في القرآن بالقتور، وبأنه شديد لحب المال، قال الله تعالى: **﴿وَكَانَ الإِنسَانُ قَتُورًا﴾**[١٠٠: الإسراء]، والقتور صيغة مبالغة من القَتر وهو التضييق في الإنفاق[١٥]. قال الراغب: "تنبيه على ما جُبِل عليه الإنسان من البخل، كقوله تعالى: **﴿وَأُحضِرَتِ ٱلأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾**[١٢٨: النساء][١٦].

والقتور المبالغ في البخل؛ لأن مبنى أمره على الحاجة والضنّة بما يحتاج إليه وملاحظة العوض بما يبذله[١٧].

ومعنى الآية وصف الإنسان بالشح وخوف الفقر بخلاف وصف الله بالجود والغنى[١٨]. قال الرازي: "فإن قيل فقد دخل في الإنسان الجواد الكريم فالجواب من وجوه. الأول: أن الأصل في الإنسان البخل لأنه خلق محتاجا والمحتاج لا بد أن يحب ما به يدفع الحاجة وأن يمسكه لنفسه إلا أنه قد يجود به لأسباب من خارج فثبت أن الأصل في الإنسان البخل.

الثاني: أن الإنسان إنما يبذل لطلب الثناء والحمد وللخروج عن عهدة الواجب فهو في الحقيقة ما أنفق إلا ليأخذ العوض فهو في الحقيقة بخيل. الثالث: أن المراد بهذا الإنسان المعهود السابق: وهم الذين قالوا: **﴿لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّى تَفْجُرَ لَنَا مِنَ الأَرْضِ يَنبُوعًا﴾**[٩٠: الإسراء][١٩].

والله تعالى يصف الإنسان من حيث هو إلا من وفقه الله وهداه، فإن البخل والجزع والهلع صفة له كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ**﴾[١٩- ٢٢: المعارج]، ولهذا نظائر كثيرة في القرآن العزيز(٢٠).

ويتوافق هذا مع طبيعة الإنسان وما جبل عليه في قوله تعالى: ﴿**وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ**﴾[٨: العاديات]، والشديد على معنى البخيل(٢١). وفسره القرطبي بقوة حب الإنسان للمال(٢٢).

وهذا نابع من شدة خوفه وشدة حرصه وهو أمر طُبع عليه، قال الله تعالى: ﴿**إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا * إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا * وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا * إِلَّا الْمُصَلِّينَ**﴾[١٩- ٢٢: المعارج]، والمعنى أن من مقتضى تركيب الإدراك البشري أن يحدث فيه الهلع(٢٣).

وفي هذا تنبيه على جبلة الإنسان وما فيها من الغرائز والأخلاق، وأنها تسرع إلى التعلق بسلوكه، وبهذا تنبيه إلى وجوب الحذر من تبعاتها(٢٤).

وجاء تفسير الهلوع بشدة الجزع وكثرة المنع، شدة الجزع عند مس المكروه وفقد النعمة، وكثرة المنع عند مسّ الخير(٢٥). وشدة الحرص وقلّة الصبر(٢٦). وقيل: هو الفزع والاضطراب الشديد(٢٧).

وقال الراغب الأصفهاني: الجزع أبلغ من الحزن، فإن الحزن عام، والجزع يصرف الإنسان عما هو بصدده ويقطعه عنه(٢٨). ولما كان شدة الجزع والمنع متمكنة في الإنسان، جُعل كأنه خلق محمولا عليهما(٢٩).

وفي تقديم الجزوع على المنوع سرٌّ يتعلق فيما يظهر بطبع الإنسان ذاته؛ ذلك أن الهلع خوفٌ، والخوف في المكروه أكثر منه في المحبوب، وكلاهما يتخوّف الإنسان فيه، فالخوف في المكروه من ذهاب نعمة أو نقصانها والخوف من تبعات ذلك، وفي المحبوبات خوف من تعرضها للزوال أو النقصان، ولذلك يكون المنع لها عن الغير، ويحسب الإنسان أن في ذلك إبقاءً لها ومحافظة عليها.

والأثر الإيماني في هذا الخُلق الطبعي، يبرز في التوجيه الإلهي إلى عدم التخوّف من زوال النعمة إذا صُرّفت النعمة في مواضعها الصحيحة، وأن لا يلتفت الإنسان إلى التبعات المستقبلية؛ لأن الإنسان لا يضمن النعم، وليس كفيلًا لها على جميع أحوالها، بل الذي يضمنها منعمها، فوجه إلى التوكل والاعتماد عليه، والأخذ بأسباب بقائها من التصدّق وإغاثة الملهوف وعدم المنع للنعمة.

وقد نبهت الآيات إلى تهذيب النفس من هذا الخلق الطبعي، فأرشدت إلى عدم الاكتراث بشأن الدنيا وذهاب متعها ونعيمها، وأن النعمة الأولى بالاهتمام هي لذة القرب من الله تعالى، وأن الخوف لا ينبغي أن يكون لأجل الدنيا، بل الوجل والخوف من واهب النعم ومدبّر الأمور والأحوال جميعًا، قال الله تعالى: ﴿**إِلَّا الْمُصَلِّينَ * الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ دَائِمُونَ * وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ * لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ * وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ * وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ * إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ**﴾[٢٢- ٢٨: المعارج] قال ابن جزي: (لأن صلاتهم تحملهم على قلة الاكتراث بالدنيا، فلا يجزعون من شرها ولا يبخلون بخيرها)(٣٠). وقال البقاعي: (وكان من القدرة البالغة أن يحفظ سبحانه من أراد من

الخزي مع جبلته ويحمله على كسر نفسه مرة بعد أخرى حتى يتلاشى ما عنده من جبلة الشر وتبقى الروح على حالها عند الفطرة الأولى، فلا تزال تحثه على المبادرة إلى طاعته ﷻ وحفظ حدوده، فكان لا كرامة أعظم من حفظ المكلف لحدود الشرع مع المنافاة لطبعه، فيكون جامعاً للإيمان بنصفيه: الصبر والشكر، لما جمع من هذه الأوصاف الثمان المعادة لأبواب الجنة الثمان، فكان أسباباً لها، استثنى من هذا النوع الهلوع ولذلك جمع فقال: {إِلَّا الْمُصَلِّينَ} أي المحافظين على الصلاة التي هي مواطن الافتقار، العريقين في هذا الوصف، فإنه لا يشتد هلعهم فلا يشتد جزعهم ولا منعهم، فيكونوا في أحسن تقويم معتدلين مسارعين فيما يرضي الرب)[٣١].

وعلى هذا فإن اشتغال القلب بالطاعة يهوّن عليه أحوال الدنيا ونعيمها، قال الآلوسي: (وقد وصفهم سبحانه بما ينبئ عن كمال تنزههم من الهلع من الاستغراق في طاعة الحق ﷻ والإشفاق على الخلق، والإيمان بالجزاء والخوف من العقوبة وكسر الشهوة وإيثار الآجل على العاجل)[٣٢].

إن المنهج الإيماني في التعامل مع المخاوف والتوترات النفسية التي تسببها الأسباب المادية تحفظ على الإنسان أمنه مع نفسه، وتكسبه الراحة والاستقرار من عناء التفكير في التبعات جرّاءها، وتهوّن عليه سَورة الحياة وقسوتها، وتجعله يمشي في مناكب الحياة هَونًا، مستجمع الفكر قاصد الوجهة مستقيم الشرعة.

وقد وجه القرآن إلى اعتدال النظرة إزاء النعم والأموال، فلم يصادم حب المال عند الإنسان ورغبته في الأثرة، إلا أنه أشفق عليه من الإغراق فيه والانهماك بجمعه، ومن هنا كان الذم على الجمع والانهماك منه ﴿**وَجَمَعَ فَأَوْعَى**﴾[١٨: المعارج]، وقد وقاه شحّ نفسه وجعل ذلك ميزة للفلاح، وجعل الفلاح من جهتين: التفوّق النفسي، بأن يتغلب على التعلق بالمال والنعمة، ولا ينسى حق غيرها فيها، والفوز بما كُلّف به وأنه أقام في نفسه الاتزان بين الوسيلة والغاية.

وقد عرَّف القرآن الإنسان أن النعم ينبغي أن تكون مما يسعى فيه الإنسان لعمل الخيرات، وأن من لا يجد المال يصبر، ومن وجده يشكر، وجعل النعمة ابتلاء بين الصبر والشكر ﴿**وَنَبْلُوكُم بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ**﴾[٣٥: الأنبياء]، وهاتان قيمتان في الإيمان، لهما أثر في صقل شخصية المسلم.

وينبغي أن يشار هناك أن القرآن أشار إلى يأس الإنسان وقنوطه حال زوال النقمة منه؛ وفقًا لقوله تعالى: ﴿**وَإِن مَّسَّهُ الشَّرُّ فَيَؤُوسٌ قَنُوطٌ**﴾[٤٩: فصلت] فالإنسان حريص على ما ينفعه ويظن ذلك ملازماً له، ولا يحب ما يؤلمه، وهذا من انهماكات النفس الإنسانية في ما أشربته من حب الملذات والركون لراحتها.

والتعبير باليأس والقنوط مُشعر بأنه نسي المُنعم وتعلق بالنعمة تعلقًا، يبني عليها حياته وآماله، قال ابن عاشور: (فأصل هذا الخلق أمر مرتكز في نفس الإنسان، وهو التوجه إلى طلب الملائم والنافع، ونسيان ما عسى أن يحل به من المؤلم والضار، فبذلك يأنس بالخير إذا حصل فيزداد من السعي لتحصيله، ويحسبه كالملازم الذاتي، فلا يتدبر في معطيه حتى يشكره ويسأله المزيد تخصعاً... وقد جاءت تربية الشريعة للأمة على ذم القنوط، قال تعالى: ﴿**قَالَ وَمَن يَقْنَطُ مِن رَّحْمَةِ رَبِّهِ إِلاَّ الضَّآلُّونَ**﴾[٥٦: الحجر].

والمشرك يتأصل فيه هذا الخُلق، ويتزايد باستمرار الزمان، والمؤمن لا تزال تربية الإيمان تكفه عن هذا الخلق حتى

يزول منه أو يكاد[٣٣].

وقد جاءت صيغة اليئوس والقنوط على المبالغة، والقنوط يأس مفرط يظهر أثره في الشخص فيتضاءل وينكسر، أي مبالغ في قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته، وهذا وصف للجنس باعتبار أغلب أفراده[٣٤].

وإن ويلات العالم وما يحل به من بوار، بسبب تلك الخصيصة التي طُبع عليه الإنسان واستمر عليها دون الارعواء والامتثال للتوجيهات الربانية، وإن تلك السمة الطبعيّة دفعته لاستئثار الخير لنفسه ومنعه عن غيره، فاشتد في طلب التكثّر والتزيّد لخاصته، وحرمان غيره مما استدعى منه أن يضيف قوة إلى قوته، وضعفًا لغيره، وبؤسًا لا انكفاء له، وشقاءً لا سعادة دونه، فيؤثر بذلك خاصّته على ما سواها.

ومن هنا فإن الإيمان هو الذي يحرك طاقة الإنسان المتصلة بالنعمة والمال، ويُحدث فيه أثرًا وسلوكًا يجعله يكون في سبيله الذي يليق به، قال الله تعالى: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾**[٦٧: الفرقان] وبذلك يتجه الإنسان إلى معرفة ماله وما عليه في التعامل مع النعم، دون التغافل عن أخلاقيات النّعم وآداب تطلبها ومصارفها، بما يرقى بدوره في حق الإنسانية وبناء المجتمع.

وترى الجانب الانفعالي الطبعي لدى الإنسان على المستوى الاجتماعي – أي الذي يتعدى نفسه إلى غيره فيما يتصل بالتعلق بالنعمة والأثرة، مخبرًا عنه بقوله تعالى: **﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاء بَعْدَ ضَرَّاء مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيِّئَاتُ عَنِّي إِنَّهُ لَفَرِحٌ فَخُورٌ * إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾**[١٠– ١١: هود].

والتعبير عن طبيعة الإنسان بأنه فرح فخور حيال النعمة، إشعار بأمرٍ ذاتي وأمر خارجي، فهو فرح أي بطر وأشر بالنعم مغتر بها، فخور على الناس بما أوتي من النعم، مشغول بذلك عن القيام بحقها[٣٥].

وهو متجاوز الحد في إظهار المسرّة، متباهٍ على غيره بما له من الأشياء المحبوبة للناس[٣٦].

والموجّه الإيماني للإنسان في هذه الحال الطبعية دعوته للتفكر في وجود خالق الأسباب وناقل الأحوال والمخالف بين أسبابها، والتبصرة بغوائل الاغترار والاعتلاء بالنفس على غيرها، وقد أرشدت الآية إلى الطريق الأمثل في معالجة هذه الخصلة الطبعية لدى الإنسان بقوله تعالى: **﴿إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُواْ وَعَمِلُواْ الصَّالِحَاتِ أُوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ﴾** [١١: هود]، فالصبر كما قال العلماء هنا في حال الضراء والعمل الصالح في وقت الرخاء[٣٧].

ومن هنا فإن النهي عن الفرح الذي تجاوز حد المسرة، وينطوي على التكبر بالنعمة من مواقع الهلاك، ومن المواضع التي يُعرِض الإنسان فيها عن نفسه للخسران، وهذا ما كان من شأن المُغترين بنعم الله عليهم أمثال قارون: **﴿إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾**[٧٦: القصص]. فقد كان بواره وحزنه فيما فرح به، إذ كان عليه وبالاً، وقد كان فرحه وبطره استمراراً للطبع الذي ينبغي أن يوجه، لكنه استمر على هذا الطبع وازداد نهما، جامعاً إلى ذلك القتور والكفران والطغيان، وكل ذلك من الذمائم. وإن توجيه الإيمان إلى الفرح بالنعمة حين تكون وسيلة خير، يسعد بها العباد، حيث يُعطاها يعطيها بحقها لغيره، يقوي ضعف غيره بها، ويغني بها غناءً يسد بها رمق المحتاج، ويأخذ منها لهم كِفاء الأخوة الإيمانية وحق المسلم على أخيه، فتتحقق بذلك إيجابية المسلم، وعندئذ تكون النِعم مصانة محفوظة مكفورة كثرت

أو قلت، ويظهر خلق المسلم فيها إعطاءً، شكراً أو صبراً، وكل ذلك خير، وبذلك يُصقل الخلق الطبعي، وتُهذب الغرائز حول المال والنعمة على النحو الأمثل والأوجه.

المبحث الثاني:
الوصف الفطري للإنسان المتصل بالجانب العقلي وأثر الإيمان فيه.

خلق الله تعالى الإنسان في أحسن تقويم، وكرّمه بالعقل والهيئة الإنسانية التي تميّز بها عن سائر مخلوقات الأرض، وأودع فيه ما يجعله قادراً على الاختيار والتمييز بين الأشياء، فهو متعلّم بالقوة، قال الله تعالى: ﴿**وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ**﴾[٣١: البقرة]، وامتن الله على الخلق الإنساني بنعمة البيان والقدرة على الإفصاح عما يجول في خاطره، قال الله تعالى: ﴿**الرَّحْمَنُ * عَلَّمَ الْقُرْآنَ * خَلَقَ الْإِنسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ**﴾[١- ٤: الرحمن].

وركّب له من أدوات المعرفة التي إذا وظفها على وجهها لم يتنكب الطريق، قال الله تعالى: ﴿**وَاللّهُ أَخْرَجَكُم مِّن بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لاَ تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ الْسَّمْعَ وَالأَبْصَارَ وَالأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ**﴾[٧٨: النحل].

وهذه الأدوات المعرفية أدوات تفكّر وطرائق نظر واستبصار لدى هذا الإنسان، وتحتاج منه إلى تفعيل وتوجيه، وهي لا تستقل وحدها بالوصول إلى الهدى، إلا وفق الهدي الإلهي والتوجيه الرباني، بواسطة أنبياء الله ورسله الذين اصطفاهم لمهمة الإرشاد وتوضيح السبيل، وإنارة المسار وتصحيح المفهومات لديه.

ومع توفر هذه الأدوات التي تسعف الإنسان في الاعتبار والنظر، إلا أن طبيعته التي جُبل عليها قد تعاند في استعمالها على وجهها، وتغلّب أوصافاً مضادة ومناوئة لها، فمن الوصف الطبعي للإنسان أنه جهول مع قابليته للعلم والتعلّم، وكفور وكفّار مع أن فطرته تشهد بالحق وبوجود الإله الحق، وخصيم مبين مع توفر أدوات الإقناع، وكثير الجدل بطبعه مع وضوح الدلائل والبراهين، وليس معنى هذا أن خلق الإنسان متناقض، بل إن فيه من الصفات ما يجعل للإرادة مساحة في الاختيار بين هذه الأوصاف، وتهذيب تلك الأخلاق والغرائز، وفي هذا المبحث سنتناول الأوصاف الجبلية للإنسان المختصة بالإدراك والجانب الفعلي، وأثر الإيمان والهدي الإلهي في تهذيبها وإرشادها.

المطلب الأول: ضعف الإنسان الجبلي من حيث جهله وظلمه لنفسه، وأثر الإيمان فيه:

جاء في التنزيل الحكيم في وصف الإنسان ما يدل على أن من شأنه الجهل والظلم لنفسه، قال تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[٧٢: الأحزاب]، وأنه ظلوم كفّار، قال الله تعالى: ﴿**وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ**﴾[٣٤: إبراهيم]، ومن فرط جهل الإنسان تعجله وتسرّعه بالدعاء على نفسه بالشر والويل، قال الله تعالى: ﴿**وَيَدْعُ الإِنسَانُ بِالشَّرِّ دُعَاءهُ بِالْخَيْرِ وَكَانَ الإِنسَانُ عَجُولاً**﴾[١١: الإسراء]، وقال تعالى: ﴿**خُلِقَ الْإِنسَانُ مِنْ عَجَلٍ**﴾[٣٧: الأنبياء].

وإذا نظرنا إلى هذه الأوصاف الجبلّية: الظلوم والجهول والعجول والكفور، نلحظ أنها تتقارب فيما بينها بما يجعل بعضها يتركب على بعض، ويفضي بعضها الآخر، فالظلم وضع الشيء في غير موضعه المختص به، إما بنقصان أو بزيادة، وإما بعدول عن وقته أو مكانه [٣٨]، وهذا ينافي الحكمة والتعقُّل، والجهل: انتفاء العلم بما يتعيّن علمه[٣٩]، وهذا يدفع إلى عدم الاعتبار والتبصّر بعواقب الأمور، والتعجّل: عدم التأني تأنّي المتبصّر[٤٠]، وهذا بسبب جهله بمدبّر الأمور، والكفر: تغطية الحق والتعافي عنه، وذلك ظلم بيّن.

وبالنظر إلى الأوصاف الجبلّية للإنسان نلحظ أن هذه الأوصاف جاءت أغلبها بصيغة المبالغة، وقد علّل المفسّرون ذلك باعتبار النظر إلى الكثرة والشدة في أكثر أفراد النوع الإنساني، فإن أكثر أفراد الإنسان في غاية الظلم ونهاية الجهل، وكثرة أحوال الكفران مع تفاوتها، وما إلى ذلك من الأوصاف المذكورة[٤١].

ومع وجاهة هذه الآراء في التعليل، إلا أننا نرى فوق هذا أن الإخبار عن سجيّة الإنسان بوصف المبالغة، تقتضي الاجتهاد والمبالغة في دفع ما تفضي إليه هذه السجيَّة عند الإنسان، فالإخبار عنه بأنه جهول، يتقاضى منه المبالغة في دفع الجهالة بملازمة المعرفة والتعلم المستمر والتبصر بعواقب الأمور والأحوال، وعند وصفه بالقتور عليه الاجتهاد وملازمة الوصف الدافع لهذا الخُلق المستحكم في جبلّته، وهنا تكون مهمة الإنسان في استخلافه في الأرض، بأن يقوي إرادة على أخرى، وسلوك على سجيّة، لذا نِيط التكليف بالعقل والإرادة مع اتباع طريقة الشريعة وسوية الفطرة، واستقامة المنهج والنظر في المآلات وحسن العواقب، ولذلك نرى التوجيه الإيماني في قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ**﴾[٤٣: الزخرف]، وفي قوله تعالى: ﴿**فَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ**﴾[٦٥: مريم]، وقوله تعالى: ﴿**وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا**﴾[١٣٢: طه]، وفي قوله تعالى: ﴿**وَالَّذِينَ يُمَسَّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُواْ الصَّلَاةَ إِنَّا لاَ نُضِيعُ أَجْرَ الْمُصْلِحِينَ**﴾[١٧٠: الأعراف]، وفي قوله تعالى: ﴿**فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ**﴾[١١٢: هود].

وقد ظهر وصف الإنسان بالظلم والجهل، حين تحمّل الأمانة التي ناء حملها وثقلها بالسموات والأرض والجبال طبقاً لقوله تعالى: ﴿**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**﴾[٧٢: الأحزاب].

وقد تعددت أقوال المفسرين في معنى الأمانة، وتفرّقت كلمتهم حول فهمها، بين تخصيص وتعميم لمدلول الكلمة، فحملها بعضهم على معنى الطاعة[٤٢]، وحملها آخرون على معنى التكليف[٤٣]، وخصصها ابن عاشور بالعقل، حيث قال: (ومعنى عرض هذه الأمانة على السموات، والأرض والجبال يندرج في معنى تفسير الأمانة بالعقل؛ لأن الأمانة بهذا المعنى من الأخلاق التي يجمعها العقل ويصّرفها، وحينئذ فتخصيصها بالذكر، للتنبيه على أهميتها في أخلاق العقل... وبقية الأمور التي فسّر بها بعض المفسرين الأمانة، يعتبر من قبيل ذكر الأمثلة الجزئية للمعاني الكلية[٤٤].

وحملها الآلوسي على ما تتحمله الكلمة من مطلق المعنى، حيث قال: "وأنا أختار كون الأمانة كل ما يؤتمن عليه، ويطلب حفظه ورعايته، ولها أفراد كثيرة متفاوتة في جلالة القدر"[٤٥].

وهذا هو المعنى الذي يتناسب مع طلاقة الكلمة؛ ولأن من شأن الأمانة أن تُتَحمَّل، وفي حملها ثقل بالغ، وهو

المعنى الأوسع، وقد أبدى الإنسان استعداده للتحمّل، ولكنه لم يظهر قدرته على الوفاء بها مع الاقتدار على ذلك ووجود الاستعداد؛ ولأنه لم يفكر في التبِعة على ذلك، وذلك من ظلمه لنفسه ولجهله بعواقب الأمور، ويرى ابن عاشور أن ظلمه، لأنه قصَّر في الوفاء بحق ما تحمّله تقصيراً عن عمد، وبعضه عن تفريط في الأخذ بأسباب الوفاء، وهو المعبّر عنه بكونه جهولاً ويجوز أن يراد ظلومًا جهولًا، في فطرته، أي في طبع الظلم والجهل، فهو معرّض لهما ما لم يعصمه وازع الدين، فكان من ظلمه وجهله أن أضاع كثير من الناس الأمانة التي حملها(٤٦).

وقد هذب الإيمان والتوجيه الرباني هذه الخصلة المتأصلة في الخُلق الإنساني، فدفعته هذه التوجيهات إلى أن يكون التحمّل وفق الاستعدادات والطاقة، فلا يبالغ فيما ليس له قدرة على تحمّله، قال تعالى: **﴿لاَ يُكَلِّفُ اللّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا﴾**[٢٨٦: البقرة]، وقال الله تعالى: **﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا﴾**[٧: الطلاق].

وأن يأخذ بأسباب الوفاء لما حُمله، قال تعالى: **﴿وَأَوْفُوا الْكَيْلَ إِذَا كِلْتُمْ وَزِنُواْ بِالقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ﴾**[٣٥: الإسراء]، وأن يتعرف إلى إمكانياته وقدراته على الوفاء بما يوكل إليه، وأن يقايس ويستعمل النظر، لا التعجّل في ما يتحمّله زماناً ومكاناً ونوعاً، وأن يتبصّر بعواقب التحمّل ونوع التحمّل والثقل الذي يلتزمه وفق الاستطاعة، وهذا من مجالات الاستبصار والتعقل، قال تعالى: **﴿إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ﴾**[٨٨: هود]، وقوله تعالى: **﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمَعُوا وَأَطِيعُوا﴾**[١٦: التغابن].

وقد تحمّل الإنسان الأمانة تجاه الكون ومقدراته، بأن يصلح ولا يفسد، وأن يقوم بعمارة الأرض واستعمال مقدراتها وفق منهج صحيح، دون أن يحدث فيه خللاً مهلكاً أو سعياً مبيراً؛ لكنه قصّر بظلمه وجهله في هذه الأمانة، فظهر من أفرادٍ منه ما تضج منه الأرض وتصرخ، **﴿وَلاَ تُفْسِدُواْ فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاَحِهَا﴾**[٥٦: الأعراف] وقال تعالى: **﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾**[٤١: الروم]، فإذا كان تحمّل مهمة الإصلاح في الكون فلِم الإفساد؟ ولم ضعف الهمّة عن تحمل أمانة عمارة الأرض؟ والجواب: أن الإنسان لما حاد عن المنهج القويم، الذي يصحح له مساره في التحمل لأداء الأمانة الإلهية، أهلك الحرث والنسل وسعى في الأرض ليفسد فيها، بل إن من أفراده من عاث فيها الفساد الذي لا يُرجى إصلاحه؛ لفرط جهله وعدم تبصرته ولعظيم ظلمه.

ومما يبرز أثر الإيمان في التوجيه الإنساني لمعالجة جهله وظلمه لنفسه أقام الله الميزان والعدل وأمر به، ووجه إلى وزن الأمور وأخذها بحقها، وتصريف الأشياء على طريق العدل، قال تعالى: **﴿وَالسَّمَاء رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ * أَلَّا تَطْغَوْا فِي الْمِيزَانِ * وَأَقِيمُوا الْوَزْنَ بِالْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا الْمِيزَانَ﴾**[٧- ٩: الرحمن]، وقوله ﷻ: **﴿إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ﴾**[٩٠: النحل]، وقوله تعالى: **﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ﴾**[١٥٢: الأنعام]، وقوله: **﴿هُوَ أَنشَأَكُم مِّنَ الأَرْضِ وَاسْتَعْمَرَكُمْ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ﴾**[٦١: هود].

وأرشد التوجيه الرباني إلى الحكمة وفضلها، واستعمالها في تصريف الأمور، دفعاً للجهالة عن النفس الإنسانية، ورفعاً للظلم عن النفس وعن الغير، قال الله تعالى: **﴿وَلاَ تَمْشِ فِي الأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ الأَرْضَ وَلَن تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولاً * كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا * ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَى إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ﴾**[٣٧- ٣٩: الإسراء]، فحينئذ يغلب

الإنسان حكمته وتعقله على جهله وإنصافه على ظلمه، ويفي بما تحمّل من أمانته، وفق الاستعدادات الفطرية والتوجيهات الإيمانية، ويحقق التوازن المنشود في وجوده في الأرض.

المطلب الثاني: ضعف الإنسان من حيث جدله وخصومته وأثر الإيمان فيه.

استحكام هذه الصفة في الطبع الإنساني لا تعني صدّه عن الوصول للحق، وليست حائلًا دونه، فإذا كانت طريقًا باتباع منهج صحيح، فهي طريق موصل للبغية، وإن كانت سبيلًا بإعراض عن صحيح النظر عادت بالخُلف على صاحبها وأفضت به إلى مهلكته، وعندئذ يشتد الإنسان في خصومته ويبعد عن الحق ويبالغ في ذلك.

يقول الله تعالى: **﴿وَكَانَ الْإِنسَانُ أَكْثَرَ شَيْءٍ جَدَلًا﴾**[٥٤: الكهف] (والمراء هنا مطلق الجدل، وبخاصة ما كان منه بباطل، أي أن كل إنسان في طبعه الحرص على إقناع المخالف بأحقية معتقده أو عمله)[٤٧].

وجاءت المبالغة في الوصف هنا بأسلوب التفضيل، الذي حمله كثير من المفسرين على بابه من المفاضلة، ليكون المعنى أن جدل الإنسان أكثر من جدل كل مجادل[٤٨]، ونازع في ذلك ابن عاشور، ورأى أن اسم التفضيل مسلوب المفاضلة، وإنما جاء لقصد المبالغة في شدة جدل الإنسان وجنوحه إلى المماراة والنزاع، حتى فيما ترك الجدال في شأنه أحسن، بحيث إن شدة الوصف فيه تشبه تفوقه في الوصف على كل من يُعرف أنه موصوف به، والسبب في هذا التأويل أن غير الإنسان من أنواع ما على الأرض لا يتصوّر منه الجدل، فالجدل خاص بالإنسان لأنه من شعب النطق، الذي هو فصل في حقيقة الإنسانية، أما الملائكة فجدلهم محمود مثل قوله تعالى: **﴿أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ﴾**[٣٠: البقرة][٤٩].

وإن كنا نستظهر ما قاله ابن عاشور مما يقويه ما جاء في قوله تعالى: **﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾**[٧٧: يس]؛ إذ شدة خصومته وجدله ظاهر بيّن متصف به اتصافًا بالغًا، إلا أن في بعض ما قاله نظر، ذلك أنه يُتصوّر من الملائكة جدل واختصام طبقًا لقوله تعالى: **﴿مَا كَانَ لِيَ مِنْ عِلْمٍ بِالْمَلَإِ الْأَعْلَى إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾** [٦٩: ص]، وقد فسَّر النبي ﷺ فيم يختصم الملأ الأعلى، حيث قال –عليه الصلاة والسلام–: "أتاني الليلة ربي تبارك وتعالى في أحسن صوره، قال أحسبه في المنام، فقال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: لا، قال: فوضع يده بين كتفي حتى وجدت بردها بين ثديي أو قال: في نحري، فعلمت ما في السموات وما في الأرض، قال: يا محمد، هل تدري فيم يختصم الملأ الأعلى؟ قال: قلت: نعم، في الكفارات، والكفارات: المكث في المسجد بعد الصلاة، والمشي على الأقدام إلى الجماعات، وإسباغ الوضوء في المكاره"[٥٠].

وكذلك إفحام خزنة النار لمن يطلب منهم التخفيف يومًا من العذاب في النار في قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ فِي النَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ الْعَذَابِ * قَالُوا أَوَلَمْ تَكُ تَأْتِيكُمْ رُسُلُكُم بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا بَلَى قَالُوا فَادْعُوا وَمَا دُعَاء الْكَافِرِينَ إِلَّا فِي ضَلَالٍ﴾**[٤٩– ٥٠: غافر].

وما كان من الجدال والتساؤل في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُواْ أَتَجْعَلُ**

فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاء وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[٣٠: البقرة].

وإن كان مخصصًا بالجدل المحمود، قال السيوطي: (فيه إرشاد عباده إلى المشاورة وأن الحكمة تقتضي إيجاد ما يغلب خيره وإن كان فيه نوع شر وانه لا رأي مع وجود النص وهو أصل في المسائل التعبدية)(٥١).

وإذا كان الجدل على وجه العموم هنا – وهذا ما يظهر، ومن الجدل ما هو مذموم ومنه ما هو محمود–، إلا أن الطبيعة الجدلية قائمة بالنفس الإنسانية ينزع إليها الإنسان حينًا وتتهذب لديه حينًا آخر، ووفقًا لطبيعة الإنسان المبنية على حب الأثرة والحرص عليها، ورؤية الإنسان أحقية ذاته بالشيء والاستئثار به طبعًا وجبلّةً؛ فإنه بحكم هذه الصفة المستحكمة يكون الجدل والتخاصم والتنازع في القول وجهًا عنده لإثبات ما للنفس، وهذا ملحوظ في عوارض الإنسانية، ويظهر ذلك في منطقه وعلى جوارحه ومظهره بما يراه له حقًا، وهذا فرع عن النطق المُمكَّن له، وإذا كانت هذه الخاصة الإنسانية جانبًا فطريًا متأصلًا فيه، يحاول فيها الإبقاء على ما يراه له لا لغيره؛ فإنها ليست مثلبةً في ذاتها، لكن المعيب في ذلك الالتواء، ووعورة المسلك في الإقناع والتعامي عن الحق.

وقد عاب القرآن الجدل المبطل للحق أو الذي يفضي إلى إبطاله ويسعى لذلك، وأرشد إلى الجدل بالتي هي أحسن، قال تعالى: **﴿وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾**[٤٦: العنكبوت].

وهي قاعدة في الجدل تُحمل على أبلغ معانيها، متضمنة أدب البحث وأدب المناظرة وطرق الإقناع وإثبات الرأي بالوجه المرضي علمًا ودليلًا.

ونهى القرآن عن المغالاة في الجدل إلى درجة المراء، قال تعالى: **﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَاء ظَاهِرًا﴾**[٢٢: الكهف]، وقد نبه القرآن إلى أن بعض أفراد النوع الإنساني وهم المشركون استمروا على الطبع الإنساني في جبلتهم وأنفسهم الجدلية، وازدادوا في ذلك نأيًا عن الحق، فتوغلوا في الجدال والمراء الذي لم يستصبروا معه بالحق قال تعالى: **﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾**[١٨: الشورى]، وقوله تعالى: **﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾**[١٢: النجم]، وإن تعاميهم عن الحق وتغافلهم عنه، ألحق بهم صفة أخرى، جاء الإشعار بها في القرآن، قال تعالى: **﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾**[٥٨: الزخرف]، وقوله ﷻ: **﴿وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا﴾**[٩٧: مريم]. ومعنى لُدا: (أهل إلحاح في الخصومة، مأخوذ من اللدود في الأفواه، فلزومهم الخصومة بأفواههم كحصول اللدود في الأفواه، وقيل الجدال بالباطل)(٥٢).

وحين تقارع الحجة بالحجة، ويُقرن الدليل بالدليل، وتستعمل طرائق الإقناع الواضحة، عندئذ يكون التسليم بالنتائج والوصول للغاية، ومن هنا تنزاح الصفة الملاصقة للطبع الإنساني إلى الاهتداء والارعواء، وهذا لا يكون إلا وفق الانصياع للهدي القرآني والتوجيه الإيماني، فيزداد اليقين ويُتوصَّل للهدى، قال تعالى: **﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾**[١٧: محمد] وباتضاح الطريق وتفتّح القلب والعقل للبرهان، واستعمال صحيح النظر، يمتنع الجدل وتزول موانع الفهم وتنتفي حوائله.

وإذا ابتني البحث في المسائل على مقدمات صحيحة، أفضى إلى نتائج صحيحة وسليمة، وصار الجدل عيبًا في النظر وقدحًا في المناظرة، وقد جعل القرآن باب العلم والنظر فسيحًا غير مُوصد، بشرط توفر أدواته وموضوعية البحث فيه، قال

تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُواْ﴾[١٥٢: الأنعام] ونبه إلى نبذ التقليد الذي تتعطل معه أدوات المعرفة كما يُصادم التعقل ويسود الجهل على العلم، ويُنهي إلى جدلٍ بالباطل، قال تعالى: ﴿أَوَلَوْ كَانَ آبَاؤُهُمْ لاَ يَعْقِلُونَ شَيْئاً وَلاَ يَهْتَدُونَ﴾[١٧٠: البقرة].

وعلى وفق هذه التوجيهات القرآنية والإرشادات الإيمانية، تتهذب الطبيعة الجدلية لدى الإنسان؛ سعيًا لإظهار الحق والعدل، بعيدًا عن الهوى، وفقًا لقوله ﷻ: ﴿فَلاَ تَتَّبِعُواْ الْهَوَى أَن تَعْدِلُواْ﴾[١٣٥: النساء]، وقوله تعالى: ﴿اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾[٨: المائدة]، فيُتَخذ المنهج الإيماني الصحيح في البحث والنظر، والتعقل والاستبصار وأدب المراجعة العلمية، سدادًا في الوجهة وتصحيحًا للفكرة.

الخاتمة:

في نهاية هذا البحث نود أن نذكر أبرز ما توصلنا إليه من نتائج:

أولًا: سلّط القرآن الكريم الضوء على الأصل الجبلّي للإنسان مما جعله يعرف نفسه، ويدرك من خلاله مواقع الزلل مظنة الخطأ فيحذر منها، وأراه مواقع العذر التي يعذر فيها الإنسان، ولأجلها كان التخفيف عليه في الأحكام والمرادات الشرعية، ومدى تأثره بهذه الطبيعة المودعة فيه، وأثر الهدى القرآني في معالجتها وتصويب خطئها، وصولًا إلى الإنسان المنشود شرعًا.

ثانيًا: الأصل الطبعي للإنسان لا مذمة بناءً عليه من حيث هو، لكن استعماله في غير محلّه وموضعه هو الذي تترتب عليه التّبعة، وليس الأصل الطبعي يصلح علة لفعل السوء، وليس ذلك مسوغًا له، بل تتقاضى الإرادة وجود نوازع بين متناقضات ومتنافرات، فإذا غُلّبت مرادات الشارع الحكيم على مرادات النفس، كان الإنسان عن المؤاخذة بمنأى، وعن المأثمة بمنجى.

ثالثًا: جاء الوصف الفطري للإنسان في أغلب مواضعه بوصف المبالغة، نظرًا لتكثّر الفعل جرّاء غرائزه المطبوعة، ونظرًا لكثرة أفراد هذا النوع القائمين بتلك الفعال، وبيانًا لحالة الضعف النفسي للإنسان، ولتطلّب الاجتهاد في استدفاع ما توجبه عنده تلك الخصائص الطبعيّة، استدفاعًا وفق مرادات الشارع الحكيم، واتباعًا للهدى الإلهي والتوجيه الإيماني.

رابعًا: جاء وصف الإنسان الطبعي في غير ما موضع باقتران أوصاف متعددة كنحو: ظلوم كفار، ظلوم جهول، خصيم مبين، فرح فخور، يئوس قنوط، وهذا له دلالته في استحكام تلك الأوصاف في نفسه، وابتناء بعضها على بعض من حيث التلازم والالتصاق؛ إظهارًا لحالة الضعف الإنساني، مما يحتاج في مقاومة النفس لإزاحة تلك الأوصاف بأوصاف أخرى مضادة لها، واستجماع سماتٍ عدّة في مناهضتها، وهذا ما يكون بالسعي على النفس، والتعهّد لها بقوة الأخذ للتوجيه الرباني، والاستمساك بالرشد الديني الحق.

خامسًا: وجّه القرآن إلى معالجة الضعف في أصل طبع الإنسان بالثبوت على مخالفة الهوى للنفس، والتبصر بعواقب التحوّل عن المبدأ والوصية الإلهية أمرًا أو نهيًا، والاستقامة على مرادات الشارع الحكيم، ورغب بها وأثاب عليها،

وامتدح منتهجيها.

سادسًا: ظهر الأثر الإيماني في معالجة الضعف الانفعالي في الجبلة الإنسانية، بالتوجيه الإلهي إلى عدم التخوّف من زوال النعمة إذا صُرّفت النعمة في مواضعها الصحيحة، وأن لا يلتفت الإنسان إلى التبعات المستقبلية؛ لأن الإنسان لا يضمن النعم، وليس كفيلًا لها على جميع أحوالها، بل الذي يضمنها منعمها، فوجه إلى التوكل عليه والاعتماد، عليه والأخذ بأسباب بقائها من التصدّق وإغاثة الملهوف وعدم المنع للنعمة.

سابعًا: برز أثر الإيمان في معالجة الضعف العقلي للإنسان بالتوجيه الرباني إلى الحكمة وفضلها، واستعمالها في تصريف الأمور؛ دفعاً للجهالة عن النفس الإنسانية، ورفعاً للظلم عن النفس وعن الغير، فحينئذ يغلب الإنسان حكمته وتعقله على جهله وإنصافه على ظلمه، ويفي بما تحمّل من أمانته، وفق الاستعدادات الفطرية والتوجيهات الإيمانية، ويحقق التوازن المنشود في وجوده في الأرض.

التوصيات:

يوصي الباحثان بمزيد من الدراسات حول الجوانب الفطرية والنفسية التي أودعت في النفس الإنسانية في ضوء القرآن الكريم، وكيفية توجيهها تربويا ونفسيا واجتماعيا على اعتبار توافر الوشائج الوثيقة بين الدراسات القرآنية والدراسات الاجتماعية.

الهوامش:

(١) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢/ ١٦٩).

(٢) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، (١/ ٥٠١).

(٣) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٢/ ٧٠).

(٤) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (٢/ ١٦٩).

(٥) الآلوسي، **روح المعاني**، (١١/ ٥٨).

(٦) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (١/ ١٨٨).

(٧) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٢/ ٢٦٧).

(٨) ابن عطية، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، (٤١/٢).

(٩) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٢/٥).

(١٠) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٤/ ٤٠).

(١١) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٦/ ٦٧).

(١٢) ابن الجوزي، **زاد المسير في علم التفسير**، (٣/ ١٧٩).

(١٣) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٦/ ٦٧).

(١٤) رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الكريم**، (٣/ ١٩٦).

(١٥) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، (٣/ ٢٦٩)؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (١٥/ ٢٢٤).

(١٦) الراغب الأصفهاني، **المفردات**، ص ٢٥٥.

(١٧) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (٥/ ١٩٨)؛ وينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، (٨/ ١٧١).

(١٨) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (١/ ٤٥٥).

(١٩) الفخر الرازي، **مفاتيح الغيب**، (٢١/ ٤١٣).

(٢٠) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٥/ ١٢٤).

(٢١) ابن منظور، **لسان العرب**، (٣/ ٢٣٤)؛ الزبيدي، **تاج العروس من جواهر القاموس**، (٨/ ٢٤٤).

(٢٢) القرطبي، **الجامع لأحكام القرآن**، (٢٠/ ١٦٢).

(٢٣) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٩/ ٦٨).

(٢٤) ينظر: ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٩/ ٦٩) بتصرف.

(٢٥) ينظر: الزمخشري، **الكشاف**، (٤/ ٦١٣)؛ أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (٩/ ٣٢).

(٢٦) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٥/ ٢٤٦).

(٢٧) السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ**، (٤/ ٢٥٤).

(٢٨) الراغب، **المفردات**، ص ١٩٤.

(٢٩) أبو حيان، **البحر المحيط**، (١٠/ ٢٧٥).

(٣٠) ابن جزي، **التسهيل لعلوم التنزيل**، (٢/ ٤١١).

(٣١) البقاعي، **نظم الدرر**، (٢٠/ ٤٠١- ٤٠٢).

(٣٢) الآلوسي، **روح المعاني**، (١٥/ ٧٠).

(٣٣) ابن عاشور، **التحرير التنوير**، (٢٥/ ٩، ٢٥/ ١١)، بتصرف.

(٣٤) أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (٨/ ١٨).

(٣٥) ينظر: البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٣/ ١٢٩)؛ أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (٧/ ٧٣)؛ ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٦/ ٣١٨).

(٣٦) ابن عاشورة **التحرير والتنوير**، (١٢/ ١٤).

(٣٧) ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٦/ ٣١٨).

(٣٨) الراغب، **المفردات**، ٥٧٣؛ ينظر: السمين الحلبي، **عمدة الحفاظ**، (٣/ ١٢).

(٣٩) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٢/ ١٣٠).

(٤٠) الزمخشري، **الكشاف**، (٢/ ٦٥١).

(٤١) ينظر: الآلوسي، **روح المعاني**، (١١/ ٧٤)؛ ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٢/ ١٣٠).

(٤٢) البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٤/ ٢٤٠).
(٤٣) ينظر: ابن كثير، **تفسير القرآن العظيم**، (٤٣١/٦).
(٤٤) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٢/ ١٢٩).
(٤٥) الألوسي، **روح المعاني**، (١١/ ٢٧٤).
(٤٦) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٢٢/ ١٢١- ١٣٠).
(٤٧) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٣٤٩/١٥).
(٤٨) ينظر: أبو السعود، **إرشاد العقل السليم**، (٥/ ٢٢٩)؛ الزمخشري، **الكشاف**، (٤/ ٢٦٠)؛ البيضاوي، **أنوار التنزيل**، (٣/ ٢٨٥)؛ الآلوسي، **روح المعاني**، (٨/ ٢٨٣).
(٤٩) ابن عاشور، **التحرير والتنوير**، (٣٤٧/١٥- ٣٤٨)؛ الآلوسي، **روح المعاني**، (٨/ ٢٨٣).
(٥٠) الترمذي، **جامع الترمذي**، باب ومن سورة ص، رقم الحديث (٣٢٣٣)؛ أحمد، **مسند أحمد**، رقم الحديث (٣٤٨٤)؛ الحديث صحيح، الألباني، **صحيح الترمذي**، ص ٣٢٣٣.
(٥١) السيوطي، **الإكليل في استنباط التنزيل**، ص ٢٧.
(٥٢) الماوردي، **النكت والعيون**، (٣٩١/٣).

المصادر والمراجع:

- الآلوسي، أبو الفضل شهاب الدين السيد، **روح المعاني**، ضبطه وصححه: عبدالباري عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٤م.
- البقاعي، برهان الدين أبو الحسن إبراهيم، **نظم الدرر**، دار المنهاج، بيروت، ط١، ١٤٢٦هـ.
- البيضاوي، ناصر الدين أبو سعيد عبدالله، **أنوار التنزيل**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط١، ١٤١٨هـ.
- الترمذي، أبو عيسى محمد بن عيسى، **جامع الترمذي**، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- ابن الجوزي، جمال الدين أبو الفرج عبدالرحمن بن علي، **زاد المسير في علم التفسير**، تحقيق: عبدالرزاق المهدي، دار الكتاب العربي، بيروت، ط١، ١٤٣١هـ.
- ابن جزي، أبو القاسم محمد بن أحمد، **التسهيل لعلوم التنزيل**، تحقيق: عبدالله الخالدي، دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، ١٤٣١هـ.
- ابن حنبل، أحمد بن محمد، **مسند أحمد**، تحقيق: أحمد محمد شاكر، دار الحديث، القاهرة، ط١، ١٩٩٥م.
- أبو حيان، محمد بن يوسف، **البحر المحيط**، دار الفكر، بيروت، ٢٠٠٠م.
- الراغب الأصفهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، تحقيق: عدنان صفوان الداودي، دار القلم، دمشق، ط١، ١٤١٢هـ.
- رضا، محمد رشيد، **تفسير القرآن الكريم**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٠م.
- الزبيدي، محمد مرتضى الحسيني، **تاج العروس من جواهر القاموس**، وزارة الإرشاد والأنباء، الكويت، ١٤٣١هـ.

- الزمخشري، محمود بن عمر بن أحمد، **الكشاف**، ضبطه وصححه ورتبه: مصطفى حسين أحمد، دار الريان، القاهرة، ١٩٨٧م.
- أبو السعود، محمد بن محمد بن مصطفى، **إرشاد العقل السليم**، دار إحياء التراث العربي، بيروت.
- السمين الحلبي، أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف، **عمدة الحفاظ في تفسير أشرف الألفاظ**، تحقيق: محمد باسل، دار الكتب العلمية، ط١، ١٩٩٦م.
- السيوطي، عبدالرحمن بن أبي بكر، **الإكليل في استنباط التنزيل**، تحقيق: سيف الدين عبدالقادر الكاتب، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٨١م.
- ابن عاشور، محمد الطاهر بن محمد، **التحرير والتنوير**، الدار التونسية، تونس، ١٩٨٤هـ.
- ابن عطية، أبو محمد عبد الحق بن غالب، **المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز**، تحقيق: عبدالسلام شافي بن محمد، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٢٢هـ.
- الفخر الرازي، أبو عبدالله محمد بن عمر، **مفاتيح الغيب**، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٣، ١٤٢٠هـ.
- القرطبي، أبو عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري، **الجامع لأحكام القرآن**، تحقيق: أحمد البردوني، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٩٦٤م.
- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء بن إسماعيل، **تفسير القرآن العظيم**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط ١، ١٤١٩هـ.
- ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**، دار صادر، بيروت، ط ٣، ١٤١٤هـ.
- الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد، **النكت والعيون**، تحقيق: السيد ابن عبد المقصود، دار الكتب العلمية، بيروت.

المصادر والمراجع الرومنة:

- al-Ālūsī, Abū al-Faḍl Shihāb al-Dīn al-Sayyid, Rūḥ al-ma‘ānī, ḍabaṭahu wa-ṣaḥḥaḥahu: ‘bdālbāry ‘Aṭīyah, Dār al-Kutub al-‘Ilmīyah, Bayrūt, 1994 M.
- al-Biqā‘ī, Burhān al-Dīn Abū al-Ḥasan Ibrāhīm, naẓm al-Durar, Dār al-Minhāj, Bayrūt, Ṭ1, 1426H.
- al-Bayḍāwī, Nāṣir al-Dīn Abū Sa‘īd Allāh, Anwār al-tanzīl, Dār Iḥyā’ al-Turāth al-‘Arabī, Bayrūt, Ṭ1, 1418 H.
- al-Tirmidhī, Abū ‘Īsá Muḥammad ibn ‘Īsá, Jāmi‘ al-Tirmidhī, Dār al-Fikr, Bayrūt, 2000 M.
- Ibn al-Jawzī, Jamāl al-Dīn Abū al-Faraj Abdulrahman ibn ‘Alī, Zād al-Musayyar fī ‘ilm al-tafsīr, taḥqīq: ‘Abd-al-Razzāq al-Mahdī, Dār al-Kitāb al-‘Arabī, Bayrūt, Ṭ1, 1431h.
- Ibn Juzayy, Abū al-Qāsim Muḥammad ibn Aḥmad, al-Tas′hīl li-‘Ulūm al-tanzīl, tḥqbq: D. Allāh al-Khālidī, Dār al-Arqam ibn Abī al-Arqam, Bayrūt, 1431h.
- Ibn Ḥanbal, Aḥmad ibn Muḥammad, Musnad Aḥmad, taḥqīq: Aḥmad Muḥammad Shākir, Dār al-ḥadīth, al-Qāhirah, Ṭ1, 1995m.
- Abū Ḥayyān, Muḥammad ibn Yūsuf, al-Baḥr al-muḥīṭ، Dār al-Fikr, Bayrūt, 2000M.
- al-Rāghib al-Aṣfahānī, Abū al-Qāsim al-Ḥusayn ibn Muḥammad, al-Mufradāt fī Gharīb al-Qur’ān, taḥqīq: ‘Adnān Ṣafwān al-Dāwūdī, Dār al-Qalam, Dimashq, Ṭ1, 1412h.

- Riḍā, Muḥammad Rashīd, tafsīr al-Qur'ān al-Karīm, al-Hay'ah al-Miṣrīyah al-'Āmmah lil-Kitāb, 1990m.
- al-Zubaydī, Muḥammad Murtaḍá al-Ḥusaynī, Tāj al-'arūs min Jawāhir al-Qāmūs, Wizārat al-Irshād wa-al-Anbā', al-Kuwayt, 1431h.
- al-Zamakhsharī, Maḥmūd ibn 'Umar ibn Aḥmad, al-Kashshāf, ḍabaṭahu wa-ṣaḥḥaḥahu wa-rattabahu: Muṣṭafá Ḥusayn Aḥmad, Dār al-Rayyān, al-Qāhirah, 1987m.
- Abū al-Sa'ūd, Muḥammad ibn Muḥammad ibn Muṣṭafá, Irshād al-'aql al-salīm, Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Bayrūt.
- al-Samīn al-Ḥalabī, Abū al-'Abbās Shihāb al-Dīn Aḥmad ibn Yūsuf, 'Umdat al-ḥuffāẓ fī tafsīr Ashraf al-alfāẓ, taḥqīq: Muḥammad Bāsil, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Ṭ1, 1996m.
- al-Suyūṭī, 'Abd-al-Raḥmān ibn Abī Bakr, al-iklīl fī istinbāṭ al-tanzīl taḥqīq: Sayf al-Dīn 'Abd-al-Qādir al-Kātib, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, 1981M.
- Ibn 'Āshūr, Muḥammad al-Ṭāhir ibn Muḥammad, al-Taḥrīr wa-al-tanwīr, al-Dār al-Tūnisīyah, Tūnis, 1984h.
- Ibn 'Aṭīyah, Abū Muḥammad 'Abd al-Ḥaqq ibn Ghālib, al-muḥarrir al-Wajīz fī tafsīr al-Kitāb al-'Azīz, taḥqīq: 'Abdussalām Shāfī ibn Muḥammad, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, 1422h.
- al-Fakhr al-Rāzī, Abū Allāh Muḥammad ibn 'Umar, Mafātīḥ al-ghayb, Dār Iḥyā' al-Turāth al-'Arabī, Bayrūt, ṭ3, 1420h.
- al-Qurṭubī, Abū Allāh Muḥammad ibn Aḥmad al-Anṣārī, al-Jāmi' li-aḥkām al-Qur'ān, taḥqīq: Aḥmad al-Baraddūnī, Dār al-Kutub al-Miṣrīyah, al-Qāhirah, 1964m.
- Ibn Kathīr, 'Imād al-Dīn Abū al-Fidā' ibn Ismā'īl, tafsīr al-Qur'ān al-'Aẓīm, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt, Ṭ 1, 1419H.
- Ibn manẓūr, Muḥammad ibn Mukarram ibn 'Alī, Lisān al-'Arab, Dār Ṣādir, Bayrūt, Ṭ 3, 1414h.
- al-Māwardī, Abū al-Ḥasan 'Alī ibn Muḥammad, al-Nukat wa-al-'uyūn, taḥqīq: al-Sayyid Ibn 'Abd al-Maqṣūd, Dār al-Kutub al-'Ilmīyah, Bayrūt.